

## الفصل السابع

وحقق طوفان أكتوبر هذه النتائج !



« تظل إسرائيل تنتصر وتنتصر . . . ثم تفقد كل شيء عند أول هزيمة ويظل العرب ينهزمون وينهزمون ثم يحصلون على كل شيء عند أول انتصار »

توقيع

(دلفيد بن جوربون)

أحد مؤسسي إسرائيل وحكائها ورئيس وزرائها  
الأسبق

\* \* \*

وبعد أن تمكنت إسرائيل من إلحاق الهزيمة بالعرب في ثلاث جولات مستغلة أخطاءهم الكبيرة . . . جاء السادس من أكتوبر من عام ١٩٧٣ . . . فإذا بالعرب يعدون ويخططون ثم يخوضون حرباً مع إسرائيل . . . يتحقق لهم فيها النصر وتذوق فيها إسرائيل مرارة الهزيمة لأول مرة .

توقيع

(التاريخ الحديث)

\* \* \*

فكرت كثيراً في أن أجعل عنوان هذا الفصل « بعض نتائج طوفان أكتوبر » أو ما ظهر حتى الآن من نتائج طوفان أكتوبر ، ذلك لأنني أثق تماماً في أن حدثاً ضخماً له هذه الأبعاد الطوفانية التي جعلت منه بشهادة الجميع نقطة تحول في تاريخ العرب الحديث ، وبالنسبة لإسرائيل بل في العالم المعاصر بأسره . . . لا يمكن لأي دارس أن يلم بكل نتائجه ، ذلك لأنه مع مرور الأيام والسنين يتمخض الطوفان عن نتائج أخرى قد لا يمتد البصر الآن لاستكشافها ، كما أن هناك من النتائج التي تحددت معالمها بالفعل ما يمكن أن ينمو حجمها وتوسع آثارها . ولعل ما يؤكد هذا المفهوم هو ما يظهر يوماً بعد يوم ومن خلال دراسات الباحثين والخبراء من جوانب ونتائج جديدة لم تفرض نفسها على خريطة آثار طوفان أكتوبر من قبل .

... ومع ذلك فإنني - وقد رضخت للعنوان الذي صدرت به هذا الفصل - طموحاً إلى حصر كل ما ظهر من نتائج الطوفان الأكتوبري - أسارع الآن إلى تسجيل هذه النتائج مع اعتذار مسبق بأنني قد أكتفى في الكثير منها بما قل ودل ، خاصة وأنها تستوعب - بتفاصيلها الدقيقة - كتاباً مستقلاً . . أو أكثر من كتاب .

.....

## ١ - الجانب العربي ماذا تحقق له :

... بعد نكسة ١٩٦٧ عاشت الأمة العربية سنوات ستاً عجافاً لم يكن يظهر فيها بارقة أمل إلا لتختفي . . وتزداد حدة التقلصات في النفس العربية الجريحة ، صحيح أن مصر شنت حرب استنزاف ضد إسرائيل ( المنتصرة ) لفترة ليست قصيرة إلا أنها - برغم أعبائها - لم تستمر . وعادت حالة اللاحرب واللاسلم لتفرض كابوسها القاتم على الروح العربية . وازدادت حدة حرب الاستنزاف المعنوية التي شنتها إسرائيل على الأمة العربية حتى بدا للعالم وإسرائيل بصفة خاصة أن المقاومة العربية . . ستآكل وتنهار ، أو كما قال مفكر عسكري عربي . . بدا للإسرائيليين أن « الثمرة العربية غدت ناضجة وأن هزة صغيرة ستسقطها في سلتهم » ، وأن الأمر لا يتطلب سوى استغلال الوقت وانتظار معول الزمن الكفيل بهدم إرادة القتال العربية .

ولذلك احتفظ الجنرال موشيه ديان وزير الدفاع بثقته التامة في قرب الإعلان الرسمي للاستسلام العربي . فهو حين أعلن بعد حرب ١٩٦٧ مباشرة أنه سيجلس في مكتبه منتظراً أن يدق التليفون ليجد على الطرف الآخر منه الزعماء العرب - الذين يعرفون رقم تليفونه جيداً - لكي يطلبون إليه أن يسمح لهم بالتوقيع على وثيقة الاستسلام - حين أعلن ديان ذلك - فإن مرور الأيام وتضخم حالة اللاسلم واللاحرب . . قد أكد له أنه سوف يسمع بالفعل في أقرب وقت - زنين التليفون العربي . .

ولكن في هذه اللحظة اندلعت حرب أكتوبر . . وبدأ مد الطوفان العربي لتتحقق على الفور . ومع الأيام . النتائج التالية :

١ - تحطيم حالة اللاحرب واللاسلم وبالتالي تحطيم كل التفاعلات المخيفة التي كانت ستنتج عنها .

٢ - تحطيم عقدة الخوف واستعادة الثقة بالنفس . وأيضاً استعادة ثقة العالم بالإنسان العربي الذي كادت تلك السنين القاتمة تمحو صورته الحقيقية ك مقاتل له تاريخه الحافل .

٣ - أيضاً ثبتت بوضوح كامل قدرة العرب على المبادرة والتخطيط المشترك ووحدة الجبهات وحفظ الأسرار ومفاجأة العدو والانتقال من مواقع الدفاع إلى مواقع الهجوم ، والتمكن من استخدام الأسلحة الحديثة المعقدة وأيضاً التعامل مع أحدث الوسائل التكنولوجية .

كذلك برز شعور الأمة العربية بوحدة مصيرها وتوحيدها في المعركة وقدرتها على استخدام مواردها الهامة والفعالة في معركتها المصيرية .

٤ - امتداداً لهذه النتيجة وضع العرب أيديهم على قيمة إمكانياتهم الهائلة ، وما يمكن أن يكون عليه مستقبلهم حين يتم الاستخدام الأمثل لهذه الإمكانيات والطاقات سواء كانت بشرية أو بترولية أو أرضية أو موقفاً جغرافياً له أهميته .

ولعل ما يبلور هذه النتيجة ما اعترف به الكثيرون من الكتاب والمعلقين السياسيين من أن العرب أصبحوا « القوة السادسة في العالم » .

٥ - إكسبت السياسة العربية حجماً وقدرة كبيرة ، وأصبح متاحاً لها التحرك والمناورة وتحقيق الإنجازات المتتالية مستثمرة انتصارها العسكري وظهور قوة سلاحها الاقتصادي فحصل هدف « تحرير الأراضي المحتلة من قبل إسرائيل » على تأييد عالمي شامل ، كما أخذت قضية الشعب الفلسطيني حجماً الحقيقي فاعترف أكثر المنحازين لإسرائيل بشرعية حقوق الشعب الفلسطيني وأهمية تحقيقها وبالتالي اعترفت المنظمات الدولية بمنظمة التحرير الفلسطينية بل إن ما حدث في نوفمبر ١٩٧٥ من إدانة هيئة الأمم المتحدة للصهيونية والتأكيد على حقوق الشعب الفلسطيني ثم الموافقة الحاسمة على حضور ممثلي الشعب الفلسطيني لجلسة مجلس الأمن التي دعت إليها دول عربية وعلى رأسها مصر لمناقشة الاعتداء الإسرائيلي على مخيمات الفلسطينيين في لبنان ( نوفمبر ٧٥ ) ذلك كله يوضح حجم التعبير الهائل في النظرة للقضية العربية ومحورها الممثل في القضية الفلسطينية .

٦ - خرجت القوات العربية من هذه الحرب بخبرة قتالية عظيمة سواء على مستوى القيادات التخطيطية أو الميدانية أو على مستوى الأفراد .

## ٢- الجانِب الإسرائيلي :

إذا كنت سأترك الحديث عن آثار طوفان أكتوبر العربي على إسرائيل ، لكتاب ومفكرين إسرائيليين وأجانب حتى لا تكون هناك شبهة المبالغة أو غير الموضوعية إلا أنني - فقط أضع هذه النقاط التي قد تصلح كمفاتيح لما ستضمه الدراسات الإسرائيلية التالية :

١- فقد الجندي الإسرائيلي ثقته المطلقة بقيادته ، واهتزت ثقته في نفسه وتحطمت نظرتة للمقاتل العربي الذي واجهه لأول مرة - بشكل حقيقي - في هذه الحرب . . تلك النظرة التي كانت تمثل في الاستهانة به والتحقير من شأنه عسكرياً وثقافياً ومعنوياً .

٢- تأكد للجندي الإسرائيلي بما حدث من خطوات الانسحاب من الأراضي العربية . . أن أية حرب قادمة لن تحمل سوى المزيد من الفشل الاستراتيجي .

٣- وضع طوفان أكتوبر حجم التقدم التكنولوجي لإسرائيل في حجمه الطبيعي . . وكشف أنه لا توجد تلك الهوة بين إسرائيل والعرب في هذا المجال .

٤- انهارت نظرية الأمن الإسرائيلية . . وانهار معها جيل من القادة والجنرالات الإسرائيليين الذين سطعت أسماءهم وحفرت صورهم في الوجدان الإسرائيلي وبديهي أن انهيار هؤلاء القادة الذين كانوا المثل الأعلى . . والصورة الذهبية للإسرائيلي . . قد أحدث شخاً لا يستهان به في نفس وروح الشاب الإسرائيلي .

ومن النتائج الحاسمة للحرب في هذا المجال أيضاً أنها أجهزت على معظم الزعماء الذين ينتسبون لجيل الآباء المؤسسين وعلى رأسهم جولدا مائير التي أسقط الطوفان مقعد رئاسة الوزراء من تحتها .

٥- فقد الجندي الإسرائيلي صورته التي ألحت بها الدعاية الصهيونية على أذهان العالم باعتباره صورة للجندي السوبرمان المتفوق دائماً . . فلقد اكتشف العالم أن هذا الجندي السوبرمان . . انهار وفر واستسلم حين واجهه الجندي العربي .

وبالتالي سقطت أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر وأسطورة مخابراتها التي قالوا إنها من أفضل أجهزة المخابرات في العالم . باختصار فقدت إسرائيل صورتها كدولة قوية أسطورية ( وهذا بالتحديد ما يعبر عنه الفصل الذي تحدثت فيه عن إسرائيل دولة كبرى أم صغرى ) .

٦- من أقسى النتائج على الإسرائيليين . اضطرابهم لإعادة النظر إلى القضية

الفلسطينية في ضوء معطيات الحرب والتحرك السياسي العربي . فقد ثبت لهم بما لا يقبل الشك أن القضية الفلسطينية كانت ولا تزال أساس الصراع مع العرب ولن يتوقف هذا الصراع ما لم تجد هذه القضية حلاً عادلاً .

٧ - لم تعد إسرائيل تمثل العصا الغليظة التي تضرب بها أمريكا العرب حين نشاء ردعهم وتأديبهم . بل لقد ثبت أن هذه العصا الغليظة تحتاج لحماية من أمريكا . واتضح أن حجم هذه الحماية يمثل عبئاً على السياسة والاقتصاد الأمريكي .

ونتيجة لذلك قنعت إسرائيل بدور التابع الذليل لأمريكا بعد أن كانت قد وصلت إلى اقتناع كامل بأنها تعتبر نداءً لأمريكا وحامية لمصالحها في المنطقة . والحقيقة أن هذا التقلص الإسرائيلي في هذه العلاقة سيظل يفرز آثاراً بعيدة الغور والخطورة على إسرائيل .

٨ - كانت تكاليف الحرب عبئاً رهيباً على اقتصاد إسرائيل ( أكثر من ٨ مليارات ليرة ) ، وحيث إنها فرضت نتائجها حالة من الاستعداد واليقظة الدائمة فإن ٥٣٪ من الميزانيات الجديدة خصصت للجيش مما ضاعف تدهور الاقتصاد الإسرائيلي .

٩ - الهجرة من إسرائيل إلى الخارج أو الذين أسرعوا يقطعون تذاكر للسفر ذهاباً دون عودة مع اهتزاز مفهوم الأمن الإسرائيلي ، واهتزاز الصهيونية كعقيدة ودين اهتزت تماماً فكرة الهجرة اليهودية في الشتات إلى أرض فلسطين .

ولم يكن الأمر هو مجرد ضعف موجات الهجرة إلى إسرائيل ولكنه امتد إلى الوجه الآخر . . حين تزايدت عملية التزوح والهجرة من إسرائيل إلى الخارج .

- وقد كتب أحد الكتاب الإسرائيليين بعد ثمانية أشهر فقط من حرب أكتوبر في مجلة هآرتس يقول :

« لقد تحولت بعد حرب الغفران إلى متشائم كبير ، وإنني توصلت إلى استنتاج بأن العرب لن يسلموا بوجود إسرائيل الحالي بينهم كرأس جسر أوربي وبعد أن ذاقوا طعم النصر الحلو في ميدان القتال وطعم كونهم دولة كبرى اقتصادية لن يستريحوا . ( قد يصنعون معنا تسويات لمدة خمس أو عشر سنوات سوف يتعلمون المزيد من عمليات الحرب وحظر البترول وفي المرة القادمة سوف يلقون بكل ذلك في الصراع النهائي .

.....  
هذا وقد أجرى معهد الأبحاث الاجتماعية في إسرائيل استطلاعاً حول رغبة الإسرائيليين في التزوح طرح فيه سؤالاً واحداً هو :

- لو كانت لديك فرصة فهل كنت تفضل أن تعيش بقية حياتك خارج دولة إسرائيل ؟

وقد جاءت الإجابة على هذا السؤال - في قطاع الشباب من طلبة المدارس الثانوية مزعجة للقيادة الإسرائيلية إذ قال أربعون في المائة ممن أجابوا على الاستطلاع إنهم فعلاً يريدون أن يعيشوا خارج إسرائيل ؟

ويقول الدكتور الإسرائيلي دوف التيسور ( وهو محاضر كبير في علم النفس ) والاقتصاد في جامعة برايلان ورئيس قسم البحوث في معهد البحوث الاجتماعية التجريبية ) يقول بعد دراسة قام بها .

إن الذين يريدون التزوح من إسرائيل اليوم بعد حرب أكتوبر ويفكرون بصوت مرتفع يعدون أغلبية بين الجماهير التي تشعر بالانهزامية وهو المعسكر الآخذ في الانتشار من نهاية الحرب .

إن الشبان من جيل ( الصابرا ) يريدون بناء مستقبل جديد لهم بعد أن ثارت لديهم التساؤلات بعد الحرب .

« هل لنا مستقبل في إسرائيل ؟ »

« من نكون ؟ . . وماذا نكون ؟ . . وإلى أين وجهتنا ؟ »

.....

هذا . . . وإلى جانب التزوح الكامل ، تتزايد عمليات السفر إلى خارج إسرائيل وهو سفر يطول غالباً . . وربما يكون بلا عودة وحينما طرح على وكلاء السفريات في إسرائيل سؤال يقول « من الذي يسافر هذه الأيام إلى الخارج ؟ سارعوا بالإجابة قائلين : ومن الذي لا يسافر ؟ . . إن إسرائيل كلها تسافر إلى الخارج . . وأهدأ الذين يطلبون السفر ، يقول لك : « إنني مسافر لأنني أريد التخلص من التوتر » .

.....

وتضع جريدة هارتس الإسرائيلية في بحث واسع لها . . هذه الصورة التي تعد نموذجاً لتيار النازحين من إسرائيل بعد طوفان أكتوبر . . تقول الجريدة « يعتبر » « راف صابار » رجلاً نموذجياً ، إنه يتحدث قليلاً ويصوغ أقواله في وضوح . إن الوقت يجري به هذه الأيام . إنه يتم الاستعدادات الأخيرة للسفر إلى الولايات المتحدة لقد قرر التزوح . لقد سرح في الأسبوع الماضي من الاحتياط بعد فترة خدمة دامت في

سبباً ١٥٠ يوماً وكانت غاية في القسوة .

و « راف صابار » رقيب مدرعات متزوج وأب لطفلين وهو مولود في مدينة ريفية بالقرب من تل أبيب منذ ٣٣ سنة ويكسب مرتبه من العمل في العلاقات العامة وهو يتقاضى ٣٠٠٠ ليرة في الشهر .

إن حالته الاقتصادية طيبة . . ولكنه مصمم على الزواج . . إنه يريد أن يبدأ حياة جديدة في الولايات المتحدة الأمريكية .

وفي الأسابيع التي سبقت تسريحه من الجيش وبعد أن ساد الهدوء في الجبهة المصرية على أثر توقيع اتفاقية فصل القوات أجرى ( راف ) محادثات طويلة مع رفاقه من أفراد الاحتياط في العربة نصف المجترزة وكانت الأقوال التي سمعها تعبر عن الإحساس الذي اجتاح إسرائيل بعد الحرب .

وفي لحظة صدق كان كل منهم يفرغ ما عنده ويتحدث معه بصراحة لقد أبدى كثيرون رغبتهم في الزواج والهروب من الحروب التي لا تزال تنتظر إسرائيل . .

.....

ويقول ( راف ) ..

إن من الصعب جداً أن أعود إلى الحياة العادية التي عرفتها قبل حرب أكتوبر إن الحياة تبدو لي اليوم مختلفة تماماً ، لقد قتل عدد من رفاقي وكنا نعتقد أن جيشنا عظيم ومستور وقوي أما الآن فقد جعلنا المصريين نحفض أنوفنا لقد وطئوا كل من في الجيش لقد اختفت الهالة . . إننا مصابون . . إن الجيش مجروح .

... وإنتي لا يمكني أن تمنحي من ذاكرتي كل النداءات الأخيرة التي التقطتها باللاسلكي من المواقع الحصينة طلباً للنجدة قبل أن تسقط في أيدي المصريين « النجدة النجدة المصريون يهاجمونا . بعد قليل سوف يقضون علينا . . إنهم قادمون . . » كانت تلك النداءات تتكرر في اللاسلكي ثم تصمت الأصوات ويخفى الواحد بعد الآخر .

.. كذلك لن أنسى وعود القيادة لهؤلاء الجنود في تحصينات بارليف . كانوا يقولون لهم : سوف تأتي على الفور لإنقاذكم « المساعدات في الطريق إليكم » . ومع ذلك لم يقدّم أحد .

« ماذا كان سيحدث لو كنت أنا شخصياً مكان أحد المحاصرين الذين يصرخون

طلباً للنجدة ؟

- \* ولأى سبب قتل أكثر من ٢٥٠٠ شخص ؟
- \* هل إسرائيل أفضل من دول أخرى ؟
- \* لماذا أخجل من النزوح منها ؟ ما العيب في ذلك ؟
- \* ما الذى يدفعنى إلى البقاء هنا في إسرائيل ؟
- \* ولماذا ؟
- \* فمن الذى يتذكر كل القتل والجرحى والمشوهين ؟
- \* لقد حدث كل شيء كطرفة عين ؟
- \* من الذى سيعيد أشخاصاً أعزاء علينا ؟
- \* هل كانت الحرب أمراً اقتضاه الواقع ؟
- إننى على أى حال لا أريد دولة كهذه .
- لقد نجوت بالصدفة عندما سقطت قذيفة مصرية بجوارى وقتلت زميلى . . إننى لا أريد أن أقتل في الحرب القادمة بقذيفة قد لا تحطئ الهدف » .

.....

تلك صورة تجسد موجات النزوح من إسرائيل بعد أن أغرق طوفان أكتوبر تلك المغريبات التي كانت تشجع شبابهم على البقاء فيها .

وإننى أستطيع أن أضيف واثقاً أن هناك ألواناً أخرى من النزوح فإن أولئك الذين لم يتمكنوا من النزوح المادى بأنفسهم وأسرههم إلى خارج إسرائيل ، يعانون تماماً من نزوح الثقة والطمأنينة من نفوسهم ، كما أن هناك من يهاجرون هجرة اجتماعية ونفسية . . . فتذهب بهم الصدمات التي أحدثها طوفان أكتوبر إلى مستشفيات الأمراض العصبية والنفسية التي تقول الإحصائيات إن نسبة المترددين عليها والمقيمين فيها تتزايد بشكل مستمر ؟ كما أن هناك من اعتزلوا أسرهم ومجتمعهم . . وآثروا الانطواء والتأمل في البحر كما قال الكاتب الإسرائيلي « يا هو ناتان جيفن » .

.....

.....

ثم أتوقف أنا الآن لأترك المجال - كما أشرت في البداية لأفلام إسرائيلية وأجنبية تتبادل هي بالتحليل بنتائج طوفان أكتوبر على إسرائيل .

يقول المؤرخ الإسرائيلي يعقوب تلمون ( ٥٨ سنة - أستاذ التاريخ المعاصر في الجامعة العبرية وعضو الأكاديمية الإسرائيلية للعلوم وقد عمل أستاذاً زائراً في عدة جامعات أمريكية وأوربية كما أنه حائز على جائزة إسرائيل للعلوم الاجتماعية في سنة ١٩٥٦ على كتابه ( مصادر الديمقراطية التوتاليرية ) ، وله عدة مؤلفات أخرى ترجم بعضهما إلى (الإنجليزية والفرنسية) يقول هذا الرجل الذي يمثل تلك المكانة العلمية والاجتماعية الكبيرة في إسرائيل :

« خلال السنوات الأخيرة كان قادتنا البارزون والنشيطون أكثر سخطاً على السياسيين ورجال الإعلام في العالم كله ، وكانوا يسخرون منهم لأنهم يندرون من خطر اندلاع القتال والانفجار القريب منا . فقد كان هؤلاء يقولون إن بلدنا إسرائيل وجاراتها مثل برمبل البارود وإن السلام العالمي معرض للخطر في منطقتنا . وقد حرص متحدثونا كثيراً على إقناع العالم بأنه « لا شيء يحترق في منطقتنا باستثناء معامل تكرير البترول المصرية » ( وكان صاحب هذه المقولة السيد موشيه ديان تعليقاً على تحذيرات أولئك السياسيين العالميين وإشارة إلى ضرب الطائرات الإسرائيلية لمعامل تكرير البترول المصرية في الزيتية في أثناء حرب الاستنزاف ) وقد زعم متحدثونا أيضاً أنه إذا أظهر العرب من حين لآخر دلائل روح القتال والاستعداد الحربي تكفي بضع ضربات وإسقاط دسنة من طائراتهم ، ثم توجيه إغارة شديدة عليهم لتلقينهم درساً يمتد مفعوله لأشهر كثيرة على الأقل فالعرب لن يجربوا على رفع رؤوسهم وإذا جن جنونهم وانبروا إلى حرب فعلية فسيكون مصيرهم مريراً على يد جيش الدفاع الإسرائيلي المتأهب على امتداد الحدود الواسعة والمثالية والخطوط المحصنة وغير القابلة للاحتراق والبعيدة عن تجمعاتنا السكانية . وقد أكد لنا المصدر نفسه مراراً وتكراراً ( وكانت آخر مرة قبل حرب أكتوبر بأيام قليلة ) أكد أنه لن يكون هناك خوف من اندلاع الحرب لعشر سنوات على الأقل وأن حالة اللاسلم واللاحرب ستستمر عشرين أو ثلاثين سنة وفي تلك الأثناء يأخذ التفاوت التكنولوجي بيننا وبين أعدائنا في الاتساع .

. . معاذ الله أن تفوت هذه الفرصة :

ويبدو أن هذا المفهوم قد رسخته الظروف بعد صدام حسين مع المخربين ( الفلسطينيين ) في شرق الأردن وبعد خروج الروس من مصر وتغلبنا على الإرهاب الفلسطيني وتوقف

الأمريكيين عن مضايقتنا بمشروع روجرز . فلقد بدا أن البلد قد هدأ وكنت تستطيع أن تستمع إلى تصريحات عديدة بأنه قام -- في الحقيقة -- سلام واقعي . وقيل : « لا تبدو ملحوظات ولا تثيروا ولا تخلقوا صعاباً بالمطالبة بالمفاوضات والمعاهدات المكتوبة والموقعة التي سنضطر فيهما إلى التنازل عن القليل أو الكثير فحالة اللاسلم واللاحرب تبدو لنا مثالية ونستطيع أن نستوطن كل مكان وبسرعة معاذ الله أن نفوت هذه الفرصة التاريخية .

### وأصبح الاطمئنان لنظرية الأمن عقيدة صوفية :

بالإمكان القول أن الاطمئنان لنظرية الأمن أصبح جزءاً من عقيدة صوفية ومبدأ أساسياً لبرنامج سياسي وتحولت في النهاية إلى مصلحة راسخة . . وقد ترسخت هذه الطمأنينة بنبوء تكامل الوطن وبالغطسة وبنظرية التفوق المطلق للجيش الإسرائيلي والتخلف الأبدى للعرب وبالمسلمات حول حدود الأمن المثالية التي أتيحت لنا وغدت هذه الطمأنينة من جانبها تلك المسلمات .

### ماذا حدث أو ما هي نتائج حرب أكتوبر على إسرائيل :

بعد أن قام المؤرخ الإسرائيلي ( يعقوب تلمون ) بهذا التحليل للموقف النفسي والعسكري والسياسي داخل إسرائيل بعد حرب يونيو ١٩٦٧ يصل في دراسته إلى ما حدث بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ فيقول :

« لقد تبددت افتراضات أساسية ومسلمات وتوقعات كانت بمثابة لبنات في بناء المفهوم الشامل . تبددت جميعها الواحدة بعد الأخرى ؟

١ - لم تمنع الحدود الآمنة ( المزعومة ) تغلغل مئات الألوف من جيوش مصر وسوريا بمعداتهم الثقيلة بين ليلة وضحاها ونحن لا ندري ماذا كان سيحدث لنا لو لم تلق حكومة الولايات المتحدة بكل ثقلها في كفة الميزان لصالحنا .

٢ - ظهرت وحدة عربية أكثر ترابطاً وفعالية مما كانت عليه في أي وقت مضى وهي تملك قوة كبيرة بصورة احتكار النفط ( كم أكثرنا الاستخفاف بأهميته حتى أننا أنكرنا وجود مشكلة الوقود ) وكانت المساعدات المالية التي قدمتها دول النفط العربية لدول المواجهة أداة هائلة إن هذه الحرب أثبتت أن مواقفنا القديمة من العرب كانت بمثابة الأسمت للقومية العربية .

٣ - كانت سياستنا كلها خلال السنوات الأخيرة - كما ذكرنا - قائمة على الافتراض  
إننا سننجح في دعم أعمالنا بالصورة التي نريدها حتى الضم الكامل من خلال تجاهل  
ما سبقوله ( الغويم ) غير اليهود وبكلمات أخرى ستكون لدينا القوة والقدرة على إملاء  
إرادتنا على العالم بأسره .

أين نقف اليوم بعد حرب ١٩٧٣ ؟

( أ ) جميع الدول الأفريقية التي كنا نتباهى بالعلاقات معها قطعت كل علاقاتها  
بنا . . واتحدت دول أوروبا الغربية لمنع المساعدات عنا ووضع قيد على طموحاتنا .  
( ب ) كان الاعتقاد السائد بأن الولايات المتحدة بحاجة إلينا في الحقيقة بدرجة  
لا تقل وربما تزيد على حاجتنا إليها قائماً على أساس أن الاستراتيجية العالمية لأمريكا  
تفرض عليها أن تمتنع الروس من الحصول على موطنٍ قدم في منطقتنا وفي المحيط الهندي  
وفي أفريقيا ونحن الدعامة الرئيسية المستقرة للوحيدة للنظام الدفاعي الأمريكي من مراكز  
حتى الهند وربما حتى اليابان .

هذا ما كان . . ولكن نتائج هذه الحرب جعلت الولايات المتحدة تعاملنا كدولة  
تابعة مزعجة ينبغي إجبارها على قبول الطاعة الإملاء .

وعندما تكلم وزير الخارجية الأمريكي هنري كيسنجر عن إمكان الضمانة الأمريكية  
لإسرائيل حدد نواحي العلاقة الخاصة بينها وبين أمريكا : « علاقة عاطفية وكون إسرائيل  
ديموقراطية وحرص الولايات المتحدة على منع القضاء على دوله . »

. . ولم يذكر كيسنجر أى شيء عن مصالح سياسية أو استراتيجية مشتركة .

( ج ) بعد خمس وعشرين سنة من انضمامنا إلى عائلة الشعوب بافتخار شديد على  
موجة من العطف الدولي المتحمس كمتساوين بين متساوين أصبحنا منبوذين بين الشعوب .  
( د ) اتضح أنه بدلا من أن نكون حماة وأعواناً ومنقذين لليهود الشتات في أنحاء العالم  
أصبحت دولتنا مرتبطة بيهود العالم ، معتمدة على إنقاذهم لها .

( هـ ) إن علينا الآن أن نشد الأحزمة على بطوننا ونعتمد على الجبايات البائسة ( من  
يهود العالم ) والمنح الأمريكية .

.....

٤ - تقوضت أسطورة قومية عظيمة وهي أسطورة جيش الدفاع الإسرائيلي .

## إفلاس الشركة الأمريكية - الإسرائيلية للمصالح المشتركة

### ونائج أخرى

يرجع الارتباط الذي حدث بين مصالح الولايات المتحدة الأمريكية ومصالح وقوة إسرائيل إلى عهد بعيد . يبدأ مع إنشاء دولة إسرائيل ذاتها . لكن هذا الارتباط اتخذ شكله العلني تماماً . والقوى جداً قبل حرب يونيو ١٩٦٧ ، ثم كانت تلك الصدمات بين حكومة الأردن ومنظمات المقاومة الفلسطينية في عام ١٩٧٠ ، لتؤكد أكثر : الشركة الأمريكية - الإسرائيلية للمصالح المشتركة ، حين أزمعت سوريا التدخل لمساندة المنظمات الفلسطينية ، فتحركت الولايات المتحدة بتهديد واضح ، ثم بمساعدات عسكرية ضخمة لإسرائيل . حتى يتوقف التدخل السوري وبذلك تحافظ الولايات المتحدة على النظام القائم الذي تعتبر الإخلال به انتصاراً للاتحاد السوفيتي ، وفي نفس الوقت تحافظ إسرائيل على صورتها باعتبارها القوة الرادعة واليد الغليظة في المنطقة كما تؤمن نفسها من احتمالات وجود القوات السورية مع المنظمات الفلسطينية على الحدود الأردنية .

### ويقول زئيف شيف المعلق والكاتب الإسرائيلي :

كان دور إسرائيل في هذه « الشركة » هو الحراسة العسكرية في المنطقة على الوضع العسكري والسياسي القائم ، وكان أبرز جوانب هذا الدور هو منع المصريين بأي ثمن من عبور القناة والسيطرة عليها .

ولكن إسرائيل فشلت في هذا الدور . ونتيجة لذلك فقد أفسدت الشركة الضرورية جداً بالنسبة لها .

ثم ينتقل الكاتب الإسرائيلي الشهير إلى المزيد من نتائج حرب أكتوبر فيقول :

### الشكوك وفقدان الثقة :

« لقد زعزعت الحرب إسرائيل من أساسها ، فبدلاً من الثقة المفرطة ، جاءت الشكوك العميقة وقد برزت هذه الشكوك بعد الحرب لدى القادة بشكل خاص ،

كما ترعزت الثقة بالنفس . وفجأة ثارت أسئلة كانت موضوعة على الرف طوال الوقت . هل سنبقى نقاتل إلى الأبد ؟ وهل هناك أمل للصمود في حرب جديدة في الوقت الذي تتزايد فيه فروق الكميات لصالح العرب ، وفي الوقت الذي يسيطرون فيه على الكنوز الطبيعية وعلى مخزون النفط ؟  
لقد أظهرت هذه الحرب - مرة أخرى - الخطر على وجود الدولة ، كما أبرزت مخاوف قديمة .

### انهيار التقاليد الراسخة :

« في داخل الصدمة الكبرى أدت الحرب أيضاً إلى أزمات صغيرة ولكنها ذات صدق هائل ، وقد حدثت إحدى هذه الأزمات في الجيش الإسرائيلي ، فبعد سنين من محافظة الجيش على تقليد عدم ترك جرحاه في ساحة المعركة ، ترك هذه المرة جرحى وأصحاء في الأرض التي سيطر عليها العدو ، كما ترك دبابات مع أطقمها سواء الجرحى منهم أو غير الجرحى . وواجه القادة العسكريين مشكلة خطيرة وهي هل يضحون برجال آخرين من أجل تخليص المصابين ؟ وفي نهاية المعارك كان هناك المئات من أسماء الجنود في قائمة المفقودين » .

### وأظهرت الحرب نكسة أخرى لإسرائيل :

أظهرت حرب يوم الغفران نكسة أخرى ، فقد كشفت الزعامة الإسرائيلية بكامل تقصيرها ولم يكن هناك من يتحدث إلى الشعب في أحلك ساعاته ، وبالرغم من أن وزير الدفاع موشيه ديان حاول أن يبنى - بعد الحرب - ما قيل عن انهياره خلال المعارك ، فإنه تبين أن ديان أكتوبر ( ١٩٧٣ ) لم يكن هو ديان يونية ( ١٩٦٧ ) .  
ولقد أدت الحرب إلى أزمة ثقة . فالشعب لا يثق بزعمائه . وهذه الأزمة في الثقة أكثر عمقاً ومرتبطة بمسائل كثيرة . لقد كان الجيش صورة للوهن الفكري وتدهور القيم الأخلاقية ولم يكن « شيئاً آخر » كما كان يقال عنه !!

## إسرائيل تعود إلى مراحلها الأولى :

إن دولة إسرائيل كان المخاطر يهدد وجودها أكثر من أى دولة أخرى .  
ولقد أكدت هذه الحرب أن الإسرائيليين شعب صغير .

وإن مصدر الهزة التي واجهت إسرائيل في الأساس هو في الإحساس بأن الدولة قد عادت فجأة إلى مراحلها الأولى ، إلى وضعها الأول فلقد وجدت إسرائيل نفسها فجأة - بعد حرب الغفران - تقف فجأة أمام مخاطر تحيط بوجودها . . . وهكذا تبين لإسرائيل أنه لن تكون لها إمكانية الردع بعد ذلك . .

فلقد قوبلت قوات قوة الردع الإسرائيلية التي أحرزت بصورة رئيسية بفضل سلاحها الجوي ، قوبلت بردع عربي آخر مضاد . . كما أن صواريخ (سكاد) هي التي ردت إسرائيل عن القيام بعمليات في العمق .

وفي أعقاب هذا التحول عادت إسرائيل إلى الوضع الذي كانت عليه في الخمسينيات ، برغم الفوارق التي حدثت خلال الزمن في قدرة القوات وفي الظروف الجغرافية ، وأحد أعراض ذلك هو استعداد إسرائيل بعد حرب يوم الغفران لتغيير موقفها من قوات الأمم المتحدة ، فبعد حرب ١٩٥٦ كانت مصر هي التي أرادت التستر من وراء قوات الأمم المتحدة ، وخصصت لها مساحات من الأرض المصرية ، والآن - بعد حرب ١٩٧٣ - أصبحت إسرائيل هي التي تجتذ قناعة في منطقة الفصل بينها وبين الجيش المصري ، والتي تتواجد فيها قوات الطوارئ الدولية وهذا ما يؤكد إحساسها بأنها فقدت الكثير من قوة الردع التي كانت لديها ويعتبر هذا مفترق طرق في النزاع العربي الإسرائيلي .

## العرب يحطمون حاجز الخوف :

لقد اخترق العرب حاجز الخوف ، ومنذ الحرب والعرب يقولون إن من ينجح مرة يمكنه أن ينجح مرة أخرى كما يمكنه القضاء على عدوه (إسرائيل) على مراحل . والرئيس السادات أصبح يتحدث بعد الحرب عن السلام حسب شروطه هو ، ومن ضمنها إعادة الحقوق الشرعية للفلسطينيين .



في بعض الحالات قام الإسرائيليون بنقل جثث قتلاهم [لكنهم تخلوا كثيراً عن أداء هذا الواجب المقدس  
مثلما تراجعوا عن محاولات إنقاذ أعداد من جرحاهم] ويقول مؤلفو كتاب « حرب يوم كيبور »  
إن نسبة القتل من القوات الإسرائيلية كانت عالية وثقيلة ، حتى أن قتلاهم في يوم واحد كان عددهم  
يفوق ما خسرت إسرائيل في حرب ١٩٤٨

## الجيوش العربية تدخل عصرًا جديدًا :

لقد دخلت حرب ١٩٧٣ في عدة مجالات بمثابة « حرب أزرار » أكثر مما توقعت إسرائيل فلقد كانت حرباً إلكترونية حقيقية . كما ظهر في شبكات الصواريخ المضادة للطائرات وفي الأسلحة التي استخدمت ضدها في القتال البحري ، وفي الصواريخ الجديدة التي استخدمها المصريون في ضرب محطة الرдар ، وأيضاً في التشويش الإلكتروني الذي استخدموه في خلال المعارك ثم في التصنت المكثف لشبكات الاتصال . إن الجيوش العربية - بذلك - دخلت عصرًا جديدًا ، وخطت خطوة كبيرة إلى الأمام في المجال الإلكتروني - منذ عام ١٩٦٧ . ولقد تحدثوا في إسرائيل . خلال حرب الاستنزاف عن ( صيف إلكتروني ) أما العرب والمصريون في مقدمتهم ، فقد قرروا الاستعداد الفعلي لحرب إلكترونية وقاموا بشراء معدات حربية حديثة ، ودرّبوا عليها مقاتليهم جيداً . وقد نجحوا فعلاً في استخدامها . ولذلك فإن الاتجاه القائم في إسرائيل لرؤية خصومها متجمدين في كفاءتهم بحيث يقوم الروس بعمل كل شيء بدلاً منهم أصبح محتماً أن يتغير ، بعد نجاح العرب في التقدم بسبب تحسن جهازهم الفني واستيعابهم للمعدات الحديثة .

## قدرة العرب على شن حرب شاملة :

أثبتت الحرب أيضاً أن العرب قد فكروا بمفاهيم الحرب الشاملة ، عندما أغلقوا مضيق باب المندب في وجه الملاحه الإسرائيلية . كما فعلوا في حرب ١٩٦٧ عندما أغلقوا مضائق تيران .

ولقد اعتمد الردع الإسرائيلي - حتى حرب ١٩٧٣ - على الاعتقاد بأن المصريين لن يجرؤوا على الإيقاع بالملاحه بعيداً عن حدود الدولة أيضاً وذلك لأنهم سيخشون تحول الحرب المحدودة إلى حرب شاملة بما في ذلك من امتداد ردود الفعل الإسرائيلية إلى أماكن في العمق كالإسكندرية مثلاً .

ولكن تقدير العرب كان هو التقدير السليم ، واضطرت قيادتنا إلى الاكتفاء في حربها مع مصر بعمليات الجبهة » .

\* \* \*

وهذا كاتب إسرائيلي آخر هو الدكتور « أمنون كابلوك » يتناول بعض آثار الطوفان الأكتوبري العربي . . مركزاً على انهيار الأساطير الإسرائيلية فيقول « كابلوك » في كتابه « إسرائيل . . نهاية الأساطير . »

عشر أساطير حطمتها الحرب :

« إن حرب أكتوبر قد حطمت عشر أساطير إسرائيلية هي » :

( ١ ) أسطورة الأمر الواقع :

لقد انتهجت إسرائيل سياسة الأمر الواقع فترة طويلة من تاريخها . وكانت تتوقع استمرار الوضع الناجم عن حرب يونيو ١٩٦٧ عشرين سنة أخرى يتحول معها السلام إلى استسلام عربي . . وقد برهنت حرب أكتوبر على أن الأمر الواقع لم يمنع شن الحرب فحسب ، بل كان سببها المباشر .

( ٢ ) أسطورة الحدود الآمنة التي تردع العرب :

كانت أفكار وتصريحات القادة الإسرائيليين تقول « إن خطوط وقف النار تمثل حدود الأمن المثالية التي تردع العرب عن مجرد التفكير في مهاجمة إسرائيل بفضل عمقها الاستراتيجي . ولقد أُنخِمَ الرأي العام الإسرائيلي بعد يونيو ١٩٦٧ بتصريحات عن أهمية الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي العربية المحتلة ، وأقيمت المستعمرات بالفعل ، ثم مع الدقائق الأولى من حرب أكتوبر كان الشغل الشاغل هو إخلاء سكان مستعمرات الجولان السبع عشرة وبغير جدوى لأن المدفعية السورية كانت تقوم في ذلك الوقت بعملية « حصاد » .

كذلك ثبت أن التمسك بشرم الشيخ التي كان يقول عنها موشيه ديان ( إنني أفضل شرم الشيخ بدون سلام على سلام بدون شرم الشيخ ) ثبت أن ذلك التمسك لم يكن مفيداً فقد جاء الحصار من ( باب المنذب ) .

( ٣ ) أسطورة مادية :

وهي الأسطورة التي طالما رددتها إسرائيل عن أن خط بارليف لا يمكن اقتحامه .

ولقد جاءت حرب أكتوبر لكي يتبدد هذا الخط في ساعات ، وتتبدد معه الـ ١٥٠٠ مليون ليرة إسرائيلية التي أنفقت على إنشائه ( هذا بخلاف المصاريف غير المنظورة ) .

#### ( ٤ ) أسطورة المخابرات الإسرائيلية الخرافية :

كانت أسطورة المخابرات الإسرائيلية الخرافية المعصومة من الخطأ أمراً غير قابل للمجرد المناقشة . وربما كانت للمخابرات الإسرائيلية أرصدة خارجية سابقة أعطتها هذه « الزهوة » والهالة الأسطورية مثل عملية خطف « إينمان » سنة ١٩٦٠ وشحنه إلى إسرائيل ، ومثل الاعتداءات على العلماء الألمان في مصر ، ومثل الإعداد لحرب يونيو ١٩٦٧ ، ومثل سرقة الزوارق الحربية الخمسة من ميناء شربورج الفرنسية سنة ١٩٦٩ ، ولكن هذه المخابرات ( الإسرائيلية ) أفلست فجأة وعجزت عن كشف نويا المصريين والسوريين قبيل حرب أكتوبر ، وفوجئت بالحرب تماماً مثل رجل الشارع الإسرائيلي .

#### ( ٥ ) أسطورة أن العرب لا يفهمون سوى لغة القوة :

وقد تمثلت هذه الأسطورة في ضرورة أن نلقن العرب عند وقوع أى اعتداء عربي - ولو كان اعتداء صغيراً أو عارضاً أو حتى لو كان رداً على اعتداءات إسرائيلية - نلقن العرب درساً قاسياً ، ونرغمهم على دفع الثمن ، ونعاقبهم بصورة لا يتجاسرون بعدها على القيام بأية محاولة جديدة .

وبعبارة أخرى أن الذى يسكت العرب ويخيفهم هو سياسة القوة والردع ( مثل تدمير معامل تكرير البترول بالزيتية في السويس خلال أكتوبر ١٩٦٧ ، والهجوم على بعض قادة الفلسطينيين داخل بيروت ، وإسقاط الطائرة الليبية ، والغارات المستمرة على جنوب لبنان ، وافتعال معركة جوية مع سوريا يتم فيها إسقاط ١٣ طائرة ميج ) .  
ولقد تهاوت هذه الأسطورة عندما اتضح أن هذه الأفعال كانت تزيد من تصميم وإصرار العرب ، ثم جاءت حرب أكتوبر . . لتظهر أنهم لا يخشون القوة . . بل يحطمونها ويظهرون قوتهم هم . . .

#### ( ٦ ) أسطورة أن العرب لم يخلقوا للحروب :

ونحن نحتاج إلى كتاب ضخيم كى ندون كل الاستهانات وكلمات التحقير

التي تلفظ بها جزيرالاتنا العاملون منهم والمخالون إلى الاحتياط حول الجندى العربى وضعف الجيوش العربية .

إلى أن جاءت حرب أكتوبر وبدا انحسارها الكبرى : المقاتل العربى .  
فوجد الجندى الإسرائيلى نفسه امام مقاتل عربى شجاع منضبط لديه قدرة قتالية ممتازة بفضل التدريب الجيد مقاتل مستعد للتضحية بكل شىء .  
وكانت المفاجأة أكبر تجاه الجندى المصرى الذى أبدى بسالة فائقة واقتداراً عظيماً .

### ( ٧ ) أسطورة تفتت العالم العربى واستحالة استخدام سلاح البترول :

كانت هذه الأسطورة راسخة فى أذهان القادة فى إسرائيل ، ولم يكن أحد ينظر إلى ما يقال عن سلاح البترول إلا على أنه مجرد دعاية .  
واتضح أن العرب فى الأزمان يقفون صفاً واحداً ، ويصفون خلافاتهم ولقد كنا نقول فى إسرائيل ( لكى يتمكن العرب من مهاجمة إسرائيل بحظ من النجاح عليهم أن يتحدوا أولاً . وهذا محض خيال فهم ممزقون دائماً وأبداً بخلافاتهم الداخلية ، ولهذا فهم عاجزون عن وضع سياسة منسقة ، فكيف إذن يستطيعون أن يشنوا حرباً جماعية ؟ )  
لقد كنا نقول : إن العرب ( بهذه الصورة ) هم أحسن حلفائنا ، ولكن حرب أكتوبر ألغت هذه الكلمة من القاموس السياسى الإسرائيلى كما أن العرب أدركوا أهمية سلاح البترول لهم ، واستخدموه بفعالية وجرأة وفى توقيت مناسب .

### ( ٨ ) الأسطورة القائلة بأن الفلسطينيين فى الأرض المحتلة يرضخون وسيرضخون :

وكانت ثمة شواهد فى المعاملات تقوى خيوط تلك الأسطورة ، ومن هنا نشأت التصريحات التى تخصص فيها قادة إسرائيل مثل : « لا يوجد هناك شىء اسمه فلسطين . الفلسطينيون فى ( إسرائيل ) استكانوا لوضعهم ولاستمرار السيطرة الإسرائيلية عليهم إلى ما لا نهاية .

وجاءت حرب أكتوبر وزلزلت هذه الأسطورة أيضاً ، فإذا بالسكان العرب يثرون ، وتكاثرت الأعمال الفدائية داخل المدن والمستعمرات .  
وبلغ عدد الفدائيين العاملين داخل إسرائيل آلافاً ، وهوجمت وقصفت ( ٤٤ )

مستعمرة إسرائيلية [ ١١٦ ] مرة خلال تلك المرحلة . .  
إذن يوجد شيء هناك اسمه فلسطين وفلسطينيون . .

( ٩ ) أسطورة أن الزمن يعمل لصالح إسرائيل :

أكد القادة الإسرائيليون مرات عديدة أن الزمن يعمل لصالح إسرائيل ، ثم جاء زمن ثبت فيه أن الزمن ليس ملكاً خالصاً لإسرائيل وأن جمود القيادة الإسرائيلية جعلها لم تفهم أن الزمن يدور في فراغ وأنه مرتبط بعوامل عالمية كثيرة .

( ١٠ ) أسطورة « المهيم ما يفعله اليهود » :

وتلك أسطورة من صنع بن جوريون مؤسس إسرائيل الذي كان يقول دائماً  
« لا يهيم ما تقوله الأمم . المهيم ما يفعله اليهود » .

وأثبتت حرب أكتوبر أن ما يفعله اليهود ليس مهماً وليس هو كل شيء وأن  
هناك إرادة أخرى ومضادة تستطيع أن تفرض نفسها إذا أرادت .

ولقد كانت الصدمة في سقوط تلك الأسطورة فوق الاحتمال ، وقد يعبر عنها ما قاله  
أحد جنود جيش الدفاع الإسرائيلي بعد عودته من الحرب . . حين أخذ يتمم لأحد  
الصحفيين ويقول في ذهول :

« قبل ثلاثة أشهر كنت أعتقد أنني جزء من القوة المتفوقة في الشرق الأوسط وعندما  
هدد السادات بالحرب ضحكت وقلت لنفسى :

« يا للسخف . . إنا خلال ساعتين سنكون في دمشق ، وخلال ثلاث ساعات سنكون  
في القاهرة .

لقد استهنت بالعرب . . لماذا ؟ لأننى تعلمت في المدارس أن احتقرهم تعلمت أننا  
الأقوياء وهم الضعفاء . كنت أعتقد أنه لا أهمية لما تقوله الأمم . والمهم هو ما يفعله  
اليهود » .

## رسالة إلى جولد مائير

وهذه رؤية إسرائيلية أخرى لنتائج طوفان أكتوبر ، اتخذت شكل رسالة نشرت في إحدى الصحف الإسرائيلية التي قدمت لها ثم قدمتها بالصورة التالية :

في ١٤/١٢/١٩٧٣ قام الدكتور بنيامين شازار « محاضر التاريخ بالجامعة العبرية بزيارة لمقابر الجنود الإسرائيليين في جبهة السويس ، وقد استخلص من هذه الزيارة درساً رأى من واجبه كأستاذ جامعي أن يوجهها إلى القادة الإسرائيليين وليس إلى طلبته ، على أساس أنهم مسئولون عن تسيير دفة الأمور في البلاد .

. . . وقد صاغ الدكتور (بنيامين) هذه الدروس في صورة رسالة بعث بها إلى جولد مائير رئيسة الوزراء في ذلك الوقت .

وهذا نص الرسالة :

سيدتي . . رئيسة الحكومة :

. . . لقد ثبت أن تفوقنا العسكري ليس مطلقاً ، وأن الحدود الآمنة المثالية قد انهارت خلال فترة وجيزة ، وأن قناة السويس ليست حاجزاً من الطراز الأول ضد الدبابات وأن القادة والجنود العرب لم يتصرفوا كما كنا نتصور ، وفي نفس الوقت فإن عدداً من قادتنا العسكريين ارتكبوا أمدح الأخطاء ، وذلك حين ظنوا أنهم يخوضون حرباً على غرار حرب ١٩٦٧ .

إن العرب قد تغلبوا على قيود الخوف ، وأن على الإسرائيليين أن يتغلبوا على قيود الشك في ذلك .

إن هناك طريقاً واحداً فقط لوضع حد لفقدان الروح المعنوية ولمعالجة الدهول الذي يصيب الإسرائيليين بالشلل وقد رأوا كيف انهار كل ما كانوا يؤمنون به .

هذا الطريق - يا سيدتي - هو الاعتراف العلني والمخلص بالأخطاء ، والتوجه بإخلاص ورضى نحو التسوية السلمية اللازمة » .

(المخلص)

د. بنيامين شازار

ويقول يشعياهو بن فوراث وزملائه في كتابهم المحدال :

« هددت حرب الغفران ، خلال الأيام الأولى ، وجود دولة إسرائيل في الصميم . كما كانت إسرائيل في وضع حرج من الناحية السياسية أيضاً . فمنذ نشوب الحرب وحتى الآن . تقف إسرائيل معزولة في الساحة الدولية ، ومعتمدة بصورة مطلقة على حسن نية حكومة الولايات المتحدة . وقطعت معظم الدول الأفريقية علاقاتها بنا . وحكومات دول أوروبا الغربية التي رضخت لابتزاز سلاح النفط الذي استخدمته الدول العربية ، فضلت الحصول على النفط عن التضامن مع إسرائيل .

.....

لقد انهار خط الدفاع السياسي لإسرائيل بقوة . عند ما سقط خط بارليف في سيناء كانت مأساة ومع ذلك فسقوط الخط العسكري كان أهون إذا ما قورن بسقوط الخط السياسي لإسرائيل . الذي تركها مكشوفة دون دعم سياسي ، ودون تفهم لموقفها وبالذات في هذا الوقت المصيري جداً للدولة .

لقد كان هذا السقوط ساحقاً ومطلقاً ومأساوياً .

.....

ثم ننقل إلى أكثر من تحليل لخبراء وكتاب عسكريين عالميين لنتائج حرب أكتوبر :

[ ما من حدث خلال ربع القرن الأخير استطاع أن يهز العالم ، ويحركه ، ويؤثر فيه بقسوة بمثل ما استطاعت هذه الثمانية عشر يوماً التي استغرقتها الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة أن تفعله .

ولم يحصل العرب في وقت من الأوقات على تأييد العالم وإعجابه بمثل ما حصلوا عليه في هذه الحرب . فلقد تولدت عن عبور الجيش المصري لقناة السويس ، وتقدم القوات السورية في الجولان قوة دفع كافية لجعل القوى العظمى ، وأوروبا الغربية ، ومجموعة الدول غير المنحازة والدول الأفريقية ، تشعر في ساعات معدودة بتأثير هذا الحدث عليها . فقطعت ( ٢٩ ) دولة علاقاتها الدبلوماسية بإسرائيل ، وأعلنت دول عدم الانحياز تأييدها غير المشروط للعرب ، ووجدت دول غرب أوروبا نفسها مدفوعة بحكم مصالحها - بعد استخدام سلاح البترول العربي في الحرب - إلى التحول



جولدا مائير . . .  
لم تستطع أن تبكي !!



كانت إسرائيل تحبر سلاحها  
الجوى رمزاً لقوتها . . . ولذلك كان  
لتساقط طائراتها صدى مؤلم ودلالة  
مخيفه .



قالوا إنه إله الحرب وممشوق إسرائيل  
وكان انهياره نهاية لأسطوره

عن موقفها التقليدى المؤيد لإسرائيل . وتحرك مجلس الأمن فى القضية لأول مرة بشكل جدى منذ ٢٢ عاماً ، وتوترت علاقات أمريكا بحلفائها الأوربيين بسبب وقوفها إلى جانب إسرائيل ، حتى أنها لم نجد سوى جزر الأزور البرتغالية طريقاً لمد جسرهما الجوى .

.....

ولقد كان فى مقدمة العوامل التى أحدثت هذا التأثير كله ، بغير شك ، المظهر الذى بدت عليه القوات المصرية والسورية فى ميادين القتال ، ومستوى الأداء ، والروح المعنوية العالية التى تحلت بها ، وكميات وأنواع الأسلحة التى استخدمتها وأجادت استخدامها بطريقة أثارت دهشة كافة الخبراء العسكريين فى العالم فضلاً عن دهشة الإسرائيليين أنفسهم . وفى المرحلة الأولى من الحرب وخلال الأسبوعين الأول - والثانى أبلت الجيوش العربية بلاء حسناً وليس من شك فى أن ما تحقق خلال هذه الأيام سيظل مفخرة للعسكرية العربية وأجيالها القادمة على طول الزمان .

وربما كانت الولايات المتحدة الأمريكية هى أول من فطن إلى ما أسفرت عنه حرب أكتوبر من تطورات ومتغيرات كاملة شاملة ، ولذلك جاءت استجابتها سريعة ، فلقد انزعج الأمريكيون من اندلاع القتال يوم (٦) أكتوبر ، وتابعوا نتائجه بقلق ، لكن ما أثار قلقهم على وجه التحديد لم يكن التقدم المدهش للقوات المصرية ولا حجم الخسائر التى منيت بها إسرائيل فى الأرواح والعتاد ، أو إخفاق إسرائيل فى الدفاع عن خط بارليف والاحتفاظ به ، أو حتى فقدانها لمئات من طائرات القاتوم والسكاي هوك وإنما كان ما أثار قلقهم فى الأساس هو أن العرب أصبحوا يمسكون قضيتهم فى أيديهم ، وباتوا يمتلكون القدرة - ولأول مرة - على المبادرة واختيار الوقت والمكان المناسبين لبدء تحركهم .

. . لقد عاشت أمريكا دائماً على اعتقاد أن التضامن العربى لن يكون حقيقة يوماً ما . وأنه يكفيهم تسليح إسرائيل لكى يضمّنوا مصالحهم فى المنطقة ولذلك كان من الصعب أن تصدق أن دولاً مختلفة كالجزاير والمغرب وتونس والسودان وليبيا ستسارع إلى التنافس على مساعدة مصر وسوريا فى الحرب ، وأن سلاح البترول العربى سيدخل المعركة .

. . وهكذا تفقد إسرائيل - لأول مرة منذ قيامها - دور حامى المصالح الأمريكية

بل إنها بدلاً من أن تحمي هذه المصالح ، أصبحت هي نفسها في حاجة إلى حماية أمريكية عاجلة ! ! ]

( توقيع )

الكولونيل بريج كوهار نارايان

في كتابه « الحرب الرابعة »

\* \* \*

« لقد تركت حرب أكتوبر آثاراً عميقة ليس على الشرق الأوسط ودوله فحسب حيث بددت عدداً من الأساطير والأوهام ، وإنما أيضاً على حلف الأطلنطي حيث أدت إلى ظهور اتجاهات في الفكر العسكري ، وهي اتجاهات كانت في بعض الحالات كامنة منذ الحرب العالمية الثانية ، ذلك لأن بعض النظريات والمفاهيم التي ظلت مقبولة لفترة طويلة بدأت تتعرض للشك في قيمتها ومن بينها الهدف من إنشاء حلف الأطلنطي ذاته .

كما أن حرب أكتوبر تركت آثارها ليس على الإستراتيجية العربية والإستراتيجية الإسرائيلية والنظريات والتكتيكات العسكرية فحسب ، وإنما تركتها أيضاً على عوامل أخرى مثل الروح المعنوية واستخدام أسلحة معينة في ميدان القتال ، وتصعيد استخدام - الأسلحة الإلكترونية وقد شهدت هذه الحرب بعث المقاتل العربي باستعادته لثقلته في نفسه وقدراته .

لقد أحدثت حرب أكتوبر عدداً من التغييرات في الغرب أبرزها أن حلف الأطلنطي أصيب بشرخ كبير جعله هشاً وما يزال كذلك حتى الآن . فقد كانت هذه الحرب بمثابة صدمة للحلف الأطلنطي . . وخاصة حينما طلبت أمريكا من حلفائها أن يقدموا لطائراتها تسهيلات الهبوط والتزويد بالوقود لتمكينها من إقامة الجسر الجوي الطويل لنقل الإمدادات والأسلحة والذخائر الحيوية من أمريكا إلى إسرائيل ، اعتذرت بعض الدول الحليفة عن عدم تقديم هذه التسهيلات ، ورفضت الدول الأخرى رفضاً صريحاً ولم تتمكن أمريكا من إقامة جسرهما الجوي إلا باستخدام مطار واحد في جزر الأزور - بعد أن ساومت حكومة البرتغال .

ومن جهة أخرى . . كانت السرية - التي أحاطت بها أمريكا جسرهما الجوي الضخم دون أن تكلف نفسها بواجب إبلاغ الدول التي كان هذا المخزون موجوداً في أراضيها

بما كانت تفعله - سبباً آخر في تساؤل هذه الدول عما إذا كانت مصالح أمريكا الثنائية أهم لديها من الهدف من الحلف ذاته .

الخبير البريطاني العسكري  
أدجار أوبلاتس

كان الرأي العام الغربي مهماً دائماً لتوقع أسوأ النتائج من الجانب العربي ، لأنه كان مبهوراً بالإسرائيليين الذين بدوا من قبل وكأنهم فوق مستوى البشر . ولذلك فإن حرب أكتوبر أحدثت تأثيرات ضخمة . وما يدعو للسخرية أن أصدقاء إسرائيل الذين بذلوا الكثير منذ عام ١٩٦٧ في سبيل تشويه الحقيقة . . ووضع العرب في تلك الصورة وإسرائيل في الصورة المقابلة . . قد أسهموا بدورهم في ضخامة هذه النتائج .

فبالإضافة إلى تحسن صورة العرب من خلال معاركهم في سيناء وعلى الجولان ، تعرضت صورة إسرائيل لإعادة نظر وتقييم بالغة العنف والقسوة .

إن ما حدث لإسرائيل وما قاد إلى سقوط السيدة جولد مائير والجنرال ديان وبالتالي إلى نهاية عهد كامل كانت تسيطر فيه على الحياة السياسية في إسرائيل المبادئ - الصارمة للصهيونية الأولى . . أمر لم يشعر به الإسرائيليون فقط . . وإنما أحس به العالم كله .

إن المصريين بالتنسيق الجيد مع السوريين قد حققوا نجاحاً فوق المتوقع بعبور القناة واقتحام التحصينات القوية لخط بارليف. ولقد كان إنجازاً مشيراً - بأى - مقياس من المقياس - أن يعبر جيش مانعاً مائتاً كقناة السويس ، يصل اتساعه إلى مائة ياردة ويحميه سائر ترابي يتراوح ارتفاعه بين ٣٠ و ٥٠ قدماً ، بغض النظر عن التحصينات الملاصقة والتي صرفت عليها إسرائيل حوالي ٤٠ مليون جنيه إسترليني .

إن أى جيش يحقق ذلك - وفي ساعات قليلة بل في وضع النهار إنما يحقق نجاحاً ضخماً ورائعاً . وعندما يكون الجيش الذى يقوم بمثل هذا العمل في موقف الجيش المصرى الذى عانى من ذكريات مأساوية لما حدث له في ١٩٦٧ - فإن النجاح يكون أكبر بل إنه يتعدى حدود النجاح المتعارف عليه . إنه يصبح نقطة تحول .

... وعلى الجانب الآخر . . نجد أن هزيمة إسرائيل تتضاعف نظراً للصورة الأسطورية التى كانت تظهر فيها دائماً . إنه مع كل موقع إسرائيلي يسقط ، ومع كل طائرة فانثوم كانت تهاوى في هذه الحرب . كان حجم الخسائر يبدو مضاعفاً وخاصة أن العالم لم

يتعود أن يرى ، إسرائيل في غير تلك الصورة .

وهكذا أخذت اقتراضات ومسلمات كاملة تهتز وتتحطم .

ولعل الآثار النفسية هي التي تضيف إلى المعنى الحقيقي لما حدث في أكتوبر وإن -  
كانت هذه الحرب قد شهدت بالتأكيد تحولاً بارزاً في ميزان القوى العسكرية في المنطقة  
حيث سقط التفوق الإسرائيلي الذي أحست به إسرائيل دائماً .

( توقيع )

كريستوفر مايبير

ومايكل آدمز

في كتابهما ( . . . ليس للنشر )

« لقد أدرك الإسرائيليون أخيراً أن أمنهم لا يمكن أن يتحقق لمجرد الاحتفاظ بالسيطرة  
العسكرية ، بعد أن أصبحت حالة دولتهم التي لا تقهر موضع تساؤل » .

( توقيع )

جيمس شليزنجر

وزير الدفاع الأمريكي

في ١٩٧٣/١٢/٢٦

« دخل العالم نتيجة حرب أكتوبر في مرحلة سياسية واقتصادية جديدة ، ولن تعود  
أحوال العالم إلى سابق عهدها قبل هذه الحرب .

( توقيع )

بير ميسير رئيس وزراء فرنسا

( في حديث لمراسل وكالة « ن . ي . ت » في تل

أبيب ، بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢ )

« لقد جاءت حرب رمضان بفجائية لا يصل إليها غير الأداء العسكري العربي  
المتماز ووجد مائة مليون عربي أنفسهم أمام حقيقة عزيزة على أنفسهم وهي الوحدة ومهما  
يكن فإن السبب الرئيسي لهذه الوحدة العربية هو بوضوح وقبل كل شيء ذلك النجاح  
الذي تحقق لهم في ميدان القتال ، وفي فرض الحظر العربي على إمدادات البترول . »

( توقيع )

مجلة النيوزبيوك

في ١٩٧٣/١٢/١٧